الخيانة

كان يسوع يريد أن يكون مسيح شعبه: لكنه في تحقيقه لهذا رَفضَ أن يستخدم أي وسيلة من وسائل السلطة السياسية أو الاقتصادية أو الدينية. لقد قبل أن يصبح ضحية للسلطة، وفَهِم أن هذا هو المصير الذي لا يمكن للمسيح أن يهرب منه.

في هذا الإطار الذهني ذهب إلى لقائه مع يهوذا، كما روى يوحنا.

كان يهوذا يهوديًا صالحًا، وكان ينتظر مجيء المسيح، لكن طموحه دفعه لتفسير تعليم المسيح بشكل مادي ومحدود، وبالتالي فقد كل إيمانه بيسوع. في تلك الليلة، عندما التقى يسوع بيهوذا، دعاه "يا صاحب"، واستعمل بكل رقّة من لا يستطيع التخلّي عن محاولة لمس قلب الرسول دون أن يفرض عليه شيئًا أو يُقيد حريته. لكن يهوذا كان قد اتخذ قراره. أما القبلة التي حوّلها من فعل حب إلى خيانة دنيئة، فقد سببت أذىً أعمق ليسوع.

في رواية يوحنا، بعد فعل التواضع والخدمة الذي قام به يسوع تجاه تلاميذه عندما غسل أقدامهم، أعلن عن الخيانة التي سيقاسيها على يد يهوذا (يوحنا 13: 21-30). بل وقبل ذلك، في نهاية قصة تكثير الخبز والسمك، يذكر يوحنا أول إعلان عن خيانة أحد الاثني عشر في المستقبل (يوحنا 6: 70-71). في الأناجيل، تتلاقى كل الأمور لتجعل من خيانة يهوذا أمرًا حتميًا يقود إلى موت يسوع.

ورغم تعدد التفسيرات حول دوافع خيانة يهوذا، إلا أن نصوص الأناجيل تركّز على جانب محدد: فيقول يوحنا بوضوح إن الشيطان هو من ألقى في قلب يهوذا فكرة خيانة يسوع. ويكتب لوقا الشيء نفسه (يوحنا 13: 27؛ لوقا 22: 3).

كان يهوذا، ابن سمعان الإسخريوطي، "أمين صندوق" الجماعة. ويوحنا هو من يصفه بكونه "لصًا" كان مؤتمن على الصندوق وكان يسرق ما يُوضع فيه من تبرعات (يوحنا 12: 4-6). وكغيره من الرسل، كان يهوذا يعرف جيدًا مكان بستان الجسمانية، الذي كانت الجماعة تزوره كثيرًا. في منتصف الليل هو الذي "التمس فرصة مناسبة لتسليمه" مقابل ثلاثين من الفضة - الثمن الذي حددته الشريعة الموسوية لحياة العبد الميت (خروج ٢١: ٣٢) - قاد الحراس إلى يسوع في الجسمانية (متى ٢٦: ١٤-١٥؛ لوقا ٢٢: ٣-٦). ربما لم يدرك حتى يهوذا نفسه أن خيانته ستؤدي إلى موت السيد.

كما أشار بندكتس السادس عشر: "عندما نفكّر في الدور السلبي الذي لعبه يهوذا يجب أن نعتبره بحسب الطرق السامية التي يقود بها الله الأحداث. لقد أدت خيانته إلى موت يسوع، الذي حوّل هذا العذاب الهائل إلى مساحة من الحب الخلاصي من خلال تسليم نفسه للآب... في خطته الخلاصية الغامضة، يفترض الله بادرة يهوذا التي لا تُغتفر كمناسبة لعطية الابن الكاملة لفداء العالم" (المقابلة العامة، 18 تشرين الأول 2006).

إن الضعف البشري الذي قاد إلى الخيانة لم يظهر فقط في يهوذا، بل أيضًا في بطرس، الرسول الذي اختاره يسوع ليشدد ويجمع التلاميذ بعد موته. فبطرس، غير المصدّق والواثق بنفسه، لم يخطر بباله أنه يمكن أن ينكر يسوع، حتى بعدما أخبرهم المعلّم، وخاصة بطرس، بعد العشاء الأخير، أن الشيطان طلب أن يغربلهم كالحنطة (لوقا 22: 31).

لكن بطرس، بعد القبض على يسوع، أنكره عدة مرات (متى 26: 69-75؛ مرقس 14: 66-72؛ لوقا 22: 54-62؛ يوحنا 18: 12-27). ورغم أنه تبع المعلّم هذه المسافة الطويلة، إلا أن خوفه من أن يُعرَف كأحد تلاميذ يسوع دفعه إلى أن يحلف بأنه لا يعرفه. ثم أعاده صياح الديك إلى الواقع، وإلى وعيه بعجزه عن أن يكون أمينًا. ومن هذا الوعي، ومن مرارته التي وصفتها الأناجيل الإيزائية، وُلدت توبة جديدة في قلب بطرس، توبة دعمته، بخلاف يهوذا، في القيام بدوره أن يكون الأول بين الرسل، حتى اختياره أن يستشهد على مثال المسيح.